

## Drugs to Suit All Tastes in Tunisia

Author: Samir Nefzi

"المخدرات في تونس... رواج كبير واستخدامات جنسية"

الكاتب: سمير النفري

قبل اربع اعوام، اتفقت (م.أ)، التي كانت في منتصف العشرينات انذاك، مع (س.ع)، الشاب الذي يعمل بائعا متجولا في احدى اسواق تونس على الزواج، بدأت قصة جبهما بمشادة كلامية بسبب خلاف على السعر، تحول العداء بسرعة الى ضحكات، فحب، فاتفق على الزواج.

لكن (م) لم تكن تعرف ان حبيبها، وخطيبها، يتعاطى (الزطلة)، الاسم التونسي للحشيشة، او ما يعرف بالقنب الهندي، وحينما عرفت، كان (س) دخل السجن لمدة عم بتهمة التعاطي، طنت وقتها ان العلاج من الادمان الذي تلقاه في السجن كان كافيا، لكن الحقيقة ان (س) تعرف على مروحين كبار خلف القضبان، وتحول نشاطه الى المتاجرة.

(م.أ) مصابة بانهايار عصبي الان، دخلت الى مستشفى شارل نيكول في العاصمة بعد ان حاولت الانتحار، حينما سمعت بسجن خطيبها مرة اخرى على خلفية محاولته بيع كمية من الحشيشة، ويقول الاطباء ان حالتها الان "حرجة".

تقول ايناس، شقيقة (س.ع) ان "خطيبة اخيها قامت بشرب كمية من المبيدات الحشرية السائلة بعد ان سمعت ان خطيبها سيقضي حكما بالسجن لسبعة سنوات، على خلفية استهلاك وترويج المخدرات"، وتضيف ايناس ان "عائلتها تمكنت من اخفاء الخبر لمدة شهر عن خطيبة ابنهم، لكنهم لم يستطيعوا اخفائه اكثر".

وتبين ايناس ان شقيقها "كان يستعدّ للزواج اواخر هذا الصيف و ان خطيبته انتظرت سابقا وصدمت بسجنه، و انها اعلمتهم منذ تلقيها الخبر ان حياتها لم يعد لها معنى".

### مروج: مان قوم به ليس حراما وانا ضحية ومطارد

يمكن تخيل ان هذا الرجل الاربعيني مر بالكثير من الصعوبات، واذا نظرت في عينيهِ الشاردين، يمكنك توقع انه سيمر بصعوبات اخرى كثيرة، لكنك لن تتخيل ابدأ، على الاغلب، ان (ربيع .ش) كان ابا لاسرة مزدهرة يوما ما.

يقول ربيع انه هرب من السجن الذي دخله بفضية مخدرات في احداث 14 جانفي (يناير) التي سبقت الثورة، مضيفا انه مطلوب للقضاء حاليا بخمسة قضايا، والشرطة تبحث عنه في كل مكان.

ويؤكد الرجل الذي يبدو التحول واضحا عليه، فيما ترتجف اطرافه بشكل ملحوظ انه دخل عالم المخدرات بـ"عمر مبكرة"، مبينا أن اسرته "انتقلت من احدى القرى في الشمال الغربي للعيش في هذا الحيّ القريب من العاصمة منذ السبعينات، وبعدها أخذ هذا الحي يزدهم بالوافدين من كل الجهات من البلاد و اصبح من أهم الأحياء التي تنتشر فيها الجريمة بكل انواعها"، ويضيف "مع انقطاعي عن الدراسة و انخراطي في البطالة، تعرفت على عالم المخدرات بسهولة اكبر، والتقيت العديد من الاشخاص الذين سهلوا لي الدخول فيه".

ويتابع ربيع بعين زائغة، "كنت أشقى كامل اليوم في بيع الخضر على عربة في الأزقة، و عند المساء اقتني بحصيلة البيع زطلة راغبا في نسيان واقعي، و كنت اجازف في دخول الاحياء المجاورة في اوقات متأخرة لاقتناء المخدرات، و تعرضت عديد المرات للمطاردة من الشرطة، حتى قبض عليّ ذات مرة و حكم علي بالسجن لسنة و 1000 دينار غرامة".

ويمضي ربيع بالقول "بعد خروجي من السجن عدت للتعاطي بنهم و كنت اشترى في المرة الواحدة كمية كبيرة كي لا اتردد كثيرا على الباعة، و لتجنبّ البحث عنها اذا غيرت مكان اقامتي، وصادف ان بعث يوما قطعة من المخدرات إليّ التي كنت ادّخرها في وقت كانت المخدرات مفقودة لدى الباعة بخمسة اضعاف ثمنها، وهو ما فتح شهيتي للانتقال الى البيع و التخلص نهائيا من عربة الخضار".

عالم ترويج المخدرات حسب تعبير ربيع يختلف كثيرا عن عالم الاستهلاك، فأنت مطالب بايجاد مزوّد (تاجر جملة) يثق بك و يضمن عدم الوشاية به كما تحتاج الى ابتكار طريقة للتسليم و التسلم، و التنقل بحذر، و يقول ربيع انه استطاع "في مدّة وجيزة ادخار ارباح كثيرة"، مضيفا انه تزوج بـ"ارباح المخدرات"، وواصل الاتجار حتى بعد ان رزق بطفل "غير عابئ" بنصائح زوجته، كما يقول مما ادى في النهاية الى طلاقه منها وابتعاده عن ابنه.

"التكتم وجودة البضاعة"، كما يصف ربيع "زادت من ألق سمعتي في السوق خاصة و ان المادة التي بحوزتي تحتوي على كمية من الزيت تجعل من سعرها ارفع و زياتها اكثر"، مضيفا "زبائني جلهم من المراهقين شريحة المطلقين و الفاشلين في اسرهم، علاوة على الاناث اللواتي يشتري بالوساطة".

ويقول ربيع انه شغل ايضا تلاميذا كمروجين، مقابل "10 دنائير عمولة لكل خمس عمليات توزيع".

وبالنسبة لربيع فان كون الزطلة او القنب الهندي، وهو عشب يمكن زراعته تحت مختلف الظروف، نباتا، فهي بالتالي "لايجب ان تكون ممنوعة"، ويستشهد، بعبارات مفككة بدول اوربية قننت استعمال "الماربانانا"، وهي نوع اخر من الاعشاب المخدرة، ومثل القنب فهي تستهلك تدخينا او مصفا.

شرط ربيع الوحيد للتحدث معنا كان ان علينا ان نبين ان "المدمن ليس مجرماً لأنه لم يؤدّ أهداء، وانه في النهاية ضحية و ليس جلاًدا"، و يختم ربيع بالقول "هناك عصابات حقيقية في البلاد لماذا يتكروهم و يطاردوننا، العديد من العائلات ترتزق من هذه التجارة و اوضح لكم انه لا يمكن لشخص ان يرتكب جريمة تحت تأثير المخدرات، الخمر و الاقراص اقطع منها، هناك شيوخ معروفين بورعهم يتاجرون في هذا المجال، اي حتى من الناحية الدينية فهي ليست محرمة".

## "الحرايش" اكثر فاعلية و اقل ثمناً..

لكن الزطلة ليست كل ما هناك في الازقة التونسية، فحتى مع انخفاض سعرها النسبي مقارنة بالهيروين والكوكايين وغيرهما من المخدرات، فان هناك شرائح تحت عن "التكليف" لاستطيع شراءها، ويقول رضوان، بائع الياسمين الشاب، ان الاقراص أو "الحرايش" كما تسمى باللهجة التونسية سعرها اقل من "الزطلة" و الحصول عليها أسهل، و مدة نشوتها أطول و عقوبتها أقل قسو، مضيافاً بسخرية أن "الزطلة اليوم في السوق يغلب عليها الغش".

ويضيف رضوان ان "ثمان قطعة زطلة صغيرة 5 دنانير تستهلك في لفافتين من السجائر، و يستغرق اعدادها و استهلاكها و الانتشاء بها 7 ساعات، في حين أن علبة من اقراص الأرتال مثلاً (اقراص لارتخاء الاعصاب) ثمنها 3.8 دينار من الصيدلية، بها 50 قرصاً مدة نشوة القرص الواحد تفوق الـ 8 ساعات بما يعني ان هذه العلبة تكفي المستهلك لنحو شهر، أما إذا اراد بيعها فسعر القرص المتعارف عليه خارج الصيدلية هو 1.5 دينار يعني يتحوّل ثمن العلبة الى 75 دينار بريح كبير خلال مدة قليلة جداً، ومع هذا يبقى السعر منخفضاً".

و يضيف رضوان "في هذا العالم مكان لكل الطبقات فبالنسبة للميسورين فهناك الكوكايين الذي يتراوح سعره بين الـ 250 و 300 دينار تونسي (150 - 190) دولاراً للغرام الواحد، وهناك اقراص الكيتامين وهي اقراص تساعد على النوم و ثمن العلبة ما يقارب الـ 8 دينار في الصيدليات و اضعاف ذلك خارجها، كما ان هناك الاكستازي او ما يعرف بحبوب السعادة و يبلغ سعر القرص تقريبا نحو 50 دينار تونسيا في السوق السوداء".

ويضيف رضوان ان هناك من يعمد الى "طحن كل ذلك ووضعه في ملعقة صغيرة تحت نار شمعة ليتحول كل ذلك الى عجين يتصلب بعدها بالتبريد ويطحن وبعاد استنشاقه فيسبب تخديراً شبه كلي للمخ و مع صداع خفيف يتلذذ به المدمن، و يدخل في شبه غيبوبة فتكون افعاله كلها عشوائية".

ويتابع رضوان بلهجة الخبير المطلع "أما بالنسبة للفقراء فعادة ما يستعملون البركيزول و الارطال الرخيصة الثمن و الممزوجة ببعضها او التي توضع تحت اللسان لتذوب بسرعة و ينفصل مستعملها بسرعة عن الواقع و تزود بحبوبة مفاجئة يخالها المستهلك شجاعة، وهو ما يفسر الاقدام على سلوكيات عنيفة احياناً"، مبيناً، "اما الطريقة الثانية عند الفقراء فهو الالتجاء الى السوبيتاكس في مرحلة اولى كاقراص مطحونة يتسبب استنشاقها لمستهلكها اول مرة نزيفاً على مستوى الانف، ثم يصيح الامر عادياً، وهناك حقن السوبيتاكس التي تحقن بداية في اليد وبعدها اختفاء الورد من كثرة الحقن يلجأ المدمن الى الحقن في الوريد العنقي او تحت اللسان و هي اخطر مراحل الادمان".

ومع ان رضوان رفض الكشف عن الطريقة المفضلة لديه شخصياً الا انه كان يفرك انفه باستمرار، و تبين اثار الابر على يديه بوضوح.

يقول (رمزي.س) وهو صاحب صيدلية ان جل زبائنه من "مستهلكي الاقراص المخدرة حاصلون على ترخيص طبي"، لكنه لم ينفي وجود محاولات كثيرة للحصول عليها بطرق اخرى، مشيراً الى وجود "توصيات شفوية من الشرطة بهذا الشأن"، ومع انه أكد ان الصيدلية المركزية ووزارة الصحة تشدد في تعليماتها على وجوب عدم بيع هذه المواد الا بترخيص، الا انه رفض توضيح ما اذا كانت هناك اجراءات عملية موجودة لمنع تسرب هذه المواد من الصيدليات.

## المخدرات تأتي من كل مكان و تقوي الجنس

يقول هادي، وهو ضابط شرطة بفرقة مكافحة المخدرات التونسية، ان "المخدرات تأتي من الحدود الغربية مع الجزائر قادمة من المغرب و من الحدود الجنوبية مع ليبيا قادمة من عدة دول افريقية".

ويضيف هادي "في السنوات الاخيرة عرفت الحدود البحرية ايضا اختراقات من المافيا الاوروبية التي تقوم بادخال كميات من مخدر الكوكايين و الهيروين"، مبيناً "قد يكون ذلك بالتسليم المباشر ليلاً او بالقائها في البحر ليلتقطها و يوزعها زملائهم التونسيون".

ويشير هادي الى صعوبة حصر الكميات التي تدخل الى تونس، او التي تقوم الشرطة باتلافها، مؤكداً ان "أحدى الفرق الأمنية ضبطت ما يعادل 500 كيلوغرام في سيارة أثناء عملية تفتيش عادية، كما أنه تقريباً لا يمر يوم في تونس لا تضبط فيه الكميات الصغرى التي بحوزة المستهلكين و كل هذا طبعاً لا يمكن حصره".

ويتابع هادي، الذي يعمل بمكافحة المخدرات منذ 10 سنوات أن "ترويج و استهلاك مادة الزطلة منتشر بكثرة في المناطق الشعبية و المكتظة اكثر من الأحياء الاخرى و الأرياف بحكم الإقبال عليها، اما الهيروين فهو اقل انتشاراً و يأتي بعده الكوكايين وهو موجود بقلّة و غالي الثمن".

ويتابع الضابط ان "احد المروجين الذي القي عليه القبض اعترف لدى التحقيق معه بانه قام بسرقة عظام احد الموتى من مقبرة و قام بسحقها و خلطها بمخدر الكوكايين اضافة الى بعض المواد الاخرى بحيث يتحول الكيلوغرام الواحد من الكوكايين النقي الى 7.5 كغ و بذلك تتضاعف الكمية و الارباح".

وينقل الضابط عن المروج السجين قوله ان "10 كغ من الافيون تنتج في اجواء معملية 1 كغ من المورفين وان 10 كغ من المورفين تتحول الى 1 كغ من الهيروين".

والهيروين هو مخدر قوي يؤخذ عادة على شكل حبوب او ابر، ويستخلص من مادة المورفين المستخلصة من الافيون المستخلص هو الاخر من نبات الخشخاش المنوم، و يمكن معالجته كيميائياً للحصول على مادة اما الكوكايين فيستخلص من نبات الكوكا و يكون على شكل مسحوق غالباً و يتم تعاطيه عن طريق الشم و الاستنشاق، و يعد اقوى هذه المجموعة و اكثرها تدميراً للجسم.

لكن الحبوب المخدرة تنتشر بكثرة ايضا، و بحسب الوكيل المتقاعد في فرقة الابحاث و التفتيشات بالديوانة بمحافظة جندوبة (شمال غرب العاصمة تونس) السيد بو رواوري، فان قوى الامن ضبطت في "بداية السنة الحالية سيارة زراعية تحمل على متنها ما قيمته 11 ألف دولار (نحو 18 الف دينار تونسي من الاقراص المخدرة من نوع، (لاكوالين، النيفترين، الارطال، الترنكسال، البركيزول، الفاليوم و الميريل)،" بالاضافة الى كميات من الحقن المخدرة مثل (السوبيتاكس و الماكستون فورت).

وينقل بوراوري عن مصادره ان "شركات الاتجار في هذا النوع من المخدرات بدأت تتسع بشكل كبير في السنوات الاخيرة بسبب الاقبال على المخدرات".

بينما تقول ابتسام الحاج منصور، وهي اخصائية اجتماعية أن "انتشار ظاهرة المخدرات في اوساط الرجال مرتبط بمعتقدات خاطئة من نوع دعم الكفاءة الجنسية لديهم"، مؤكدة ان "هناك ارتباط بين اسلوب التنشئة و تناول المخدرات"، مضيفة انه "على سبيل المثال ان 17 بالمئة من تجار المخدرات في مصر تعرضوا في صغرهم الى فسوة الأب وان 27 بالمئة من رواد المصحات العلاجية تعرضوا الى نفس المشاكل".

ويقول الطبيب هشام العياري "الاخصائي في قسم الاعصاب بالمستشفى الجامعي ان "المخدرات تؤثر سلبا على اي جزء من الجسم تمر من خلاله، فالمخدرات التي تؤخذ عن طريق الاستنشاق او التدخين تؤثر بشدة في الجهاز التنفسي، بينما يتركز تأثير المخدرات التي تؤخذ عن طريق الحقن في الاوردة والقلب، بالاضافة الى انها جميعا تؤثر بشكل سلبي جدا في الدماغ".

### احصاءات غائبة ومراكز علاج قليلة

وحتى مع ان تونس، كانت من اوائل الدول التي وقعت على اتفاقية الامم المتحدة لمكافحة المخدرات، فانك بعد ربع قرن من هذا التوقيع لايمكن ان تجد بسهولة احصائية تشير الى اعداد المدمنين، او الذين تم علاجهم، او كميات المواد الملقى القبض عليها واتلافها، او حتى اعداد المسجونين بنهم تتعلق بالمخدرات او اي تفاصيل اخرى.

ومع ان الاحصاءات التي تجريها المنظمات المدنية المختصة تكون عادة مقبولة بشكل اكبر، الا ان هموم تلك الجمعيات كما يبدو اكبر من اصدار الاحصاءات والبيانات، فالعديد من تلك الجمعيات مههد اصلا بالاغلاق لنقص التمويل بحسب مايقول نشطاء مديون.

وحتى مع الجمعيات التي لاتزال ناشطة، مثل (مركز امل لعلاج الادمان) فانها لم تتمكن خلال 10 عاما من العمل الا من استقبال 1500 نزيل، كما تقول جودة بن عبيد مديرة المركز لعدد من وسائل الاعلام، فيما لاتوضح بن عبيد كم من هؤلاء عادوا الى الادمان

جلّ المعطيات بشأن هذا الموضوع متناثرة بين المواقع الاخبارية و الجمعيات ذات الشأن وتصريحات المختصين، موقع (جناد) الذي يعتقد انه مقرب من وزارة الداخلية يقول انه لا توجد سلطة مخصصة لمكافحة المخدرات في تونس بل ان مكافحتها هي ضمن النشاطات العامة لوزارة الداخلية، مضيفا ان هذا يمثل عبئا على الوزارة.

ويضيف الموقع في احد المقالات التي نشرت على صفحاته، بدون توقيع من الكاتب انه "على مستوى التشريع فان القانون رقم 52 لسنة 1992 الخاص باحكام الاتجار غير المشروع في المخدرات قاصر ولايتماشى مع متطلبات المرحلة الحالية".

وتقول احصائية اجراها المعهد التونسي للصحة شملت عيّنة من 2453 شابا عمرهم بين 15 و 24 سنة ان 10 في المئة من المشاركين في الاستطلاع تعاطى المخدرات، و ان 3.3 بالمئة يواصل تعاطيها حاليا وان 3.5 بالمئة يتعاطاها عن طريق الحقن.

كما اجرى نفس المعهد دراسة على مدى 5 سنوات شملت 376 مدمنا انتهت الى ان 93 في المئة من العينة من فئة العازبين من الجنسين و ان 78 في المئة من المتزوجين تعاطوا المخدرات قبل سن الـ20 لكن هذه الاحصائيات غير دقيقة، ومع هذا فان هذه الاحصائيات تقريبية جدا وبعيدة عن الدقة غالبا.

وعربيا كانت لبنان حتى عام 1993 تحتل المرتبة الخامسة للقائمة السوداء للامم المتحدة لاكثر الدول استهلاكا للمخدرات، لكنها كثفت جهودها بشكل قاد الى حذف اسمها من القائمة، وفي اليمن تحتل نبتة "القات" مساحات زراعية هامة ويبلغ حجم تجارتها السنوي نحو 190 مليار ريال يمني، وفي القاهرة اجرى مركز البحوث الاجتماعية هناك دراسة جاء فيها ان هناك مصادر للانتاج المحلي لنبات "البانكو" الذي يسهل زراعته باعتباره شبيه الى درجة كبيرة بنبات "الملوخية" و الذي تقوم بتربيته عصابات بدوية من سيناء عبر الحدود المصرية الفلسطينية عن طريق السياح.

وتضيف نفس الدراسة ان المخدرات تدخل للوطن العربي من افغانستان و تمر على باكستان و تركيا، بينما تقول ان الحشيش يأتي من الهند و باكستان، اما الأفيون فيصنع على الحدود الباكستانية الافغانية.

و دوليا نشر صندوق النقد الدولي احصائية جاء فيها ان حجم ممتلكات تجار المخدرات في الـ20 سنة الاخيرة بلغ 125 ترليون دولار (1ترليون يساوي 1000مليار) و حقق عائدات بـ114.4 مليار دولار. اما المركز الجيوبوليتيكي الاوروبي فقد اصدر تقريرا سنة 1998 جاء فيه ان المساحة المخصصة لزراعة "الكوكايين" في العالم تبلغ 250 الف هكتار تنتج بين 1100 و 1300 طن سنويا 25 بالمئة منها في امريكا اللاتينية، و توّجّع شبكة تهريب المخدرات الكولمبية "كارتل كالي" ما بين 500 و 600 كلف اسبوعيا في مدينة نيويورك حسب اعترافات تاجر مخدرات سابق امام القضاء في مدينة ميامي".

**التقرير أعده الكاتب على سبيل التدريب خلال دورة تدريبية نفذها معهد صحافة الحرب والسلام في شهر أيلول 2013 في تونس**

**Location: Tunisia**

**Topic: Health**

**Focus: Tunisia**

Source URL: <https://iwpr.net/ar/global-voices/drugs-suit-all-tastes-tunisia>